

معالم منهجية نقد الرواة عند الإمام البيهقي

في ضوء كتابه "الخلافات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه" -دراسة نظرية تطبيقية -

Features of the methodology of criticism of the narrators by Imam Al-Beheqi in the light of his book "The Differences between imams Shafi'i and Abu Hanifa and his companions" - practical theoretical study-.

بشلاغم براهيم⁽¹⁾

كلية العلوم الإسلامية-جامعة الجزائر 1

ibrahim09bechelaghem@gmail.com

أ.د. محمود مغراوي

كلية العلوم الإسلامية-جامعة الجزائر 1

dep.alaqaid06@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/12/23 القبول 2022/02/18 النشر على الخط 2022/04/15

Received 23/12/2021 Accepted 18/02/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

يُعدُّ كتاب "الخلافات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه" من أهم كُتب الإمام البيهقي التي تدل على شخصيته الحديثية، فجاءت هذه الدراسة لتقف على معالم منهجية نقد الرواة عنده في هذا السفر العظيم. وقد بيّنت الدراسة أنّ عمليّة نقد الرواة عند الإمام البيهقي شاملة للجرح والتعديل، بعبارات فنيّة جمعت بين أصالة المنهج وتنوع العبارة، مع حدّة في النظر وشدّة في العناية، كما أثبتت الدراسة أنّ أحكامه اتسمت بالجدّة وعدم التقليد لمن سبقه من النقاد، وأنّ الإمام البيهقي من الأئمة النقاد والمتمرسين في علم الجرح والتعديل ونقد الرجال، وله قدم راسخة في هذا العلم، كما شهد له بذلك أهل الفنّ والصنعة.

الكلمات المفتاحية: معالم، نقد الرواة، البيهقي، الخلافات.

Abstract :

The book "The Differences between imams Shafi'i and Abu Hanifa and his companions" is one of the most important books of Imam Al-Beheqi, which indicates his scientific personality, and this study came to stand on the parameters of the methodology of criticism of the narrators in this great travel.

The study showed that the process of criticizing the narrators of Imam Al-Beheqi is comprehensive for wounding and modification, in artistic terms that combined the originality of the curriculum with the diversity of the phrase, with sharp consideration and intensity of care, and the study also proved that his judgments were characterized by seriousness and lack of tradition for his predecessors critics, and that Imam Al-Beheqi is a critical imam and experienced in Science of discrediting or confirming the reliability of narrators, and has a solid foot in this science, as witnessed by the people of art and workmanship.

Keywords : Landmarks, Narrators' criticism, Al-Beheqi, Controversies.

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وبعد: فإن هذا البحث يقوم على دراسة موسوعة علمية من تراثنا الإسلامي العريق، ألا وهو كتاب " الخلافيات بين الإمامين الشافعي و أبي حنيفة وأصحابه" للإمام البيهقي، إذ يُعدّ هذا الكتاب تحفة فريدة لم يسبق إلى نوعها في زمن تصنيفها، كما شهد بذلك أفذاذ أهل العلم، أودع فيه مُصنّفه جملة من مقاليد الصنعة الحديثية، وكان باب نقد الرواة والتعرض لهم بجرح أو تعديل، قد أخذ من حيز هذا الكتاب الشيء الكثير، لما لهذا النوع من أنواع علوم الحديث من الأهمية البالغة لدى المتقدمين والمتأخرين من أهل الحديث، فجاءت هذه الدراسة للوقوف على معالم نقد الرواة عند الإمام البيهقي في هذا السفر العظيم من أسفار العلم.

أهمية الدراسة:

أولاً: المساهمة في خدمة هذا السفر العظيم من أسفار تراثنا الإسلامي العريق، والذي ظلّ زمناً طويلاً مفقوداً أغلبه، وقد تهيئ بحمد الله طبعه كاملاً في السنوات الأخيرة.

ثانياً: التعرف على منهج الإمام البيهقي، وما يمثله من قامة علمية جمعت بين الحديث والفقه، وما برع فيه من طرق الجمع، وسعة الاطلاع على الخلاف، مما يستدعي التقرب أكثر من هذا الإمام، والوقوف على معالم نقد الرواة عنده، مع التعرف على صنيعة في أشهر علم من علوم الحديث ألا وهو علم الجرح والتعديل.

ثالثاً: صقل شخصية طالب الحديث، وذلك بالاطلاع والتقرب من أقوال الأئمة، واكتساب المهارات العملية في تصنيف الرواة ونقدهم. رابعاً: ما يمثله علم الجرح والتعديل والتزود منه من أهمية البالغة لدى المشتغلين بالحديث وعلومه إذ هو أحد الركائز الكبرى في منهج المحدثين، والتّمكن منه ومن أساليبه والوقوف على غوامضه، يستدعي مزيد عناية وإلمام بهذا النوع من الأبحاث.

مشكلة الدراسة:

من مسوغات البحث في هذا الموضوع ما جاء على لسان كثير من أهل الحديث على غرار الإمام الذهبي (748 هـ) إذ يقول: " ثم نحن نفتقر إلى تحرير عبارات التعديل والجرح، وما بين ذلك من العبارات المتجاذبة، ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام: عُرف ذلك الإمام الجليل، واصطلاحه، ومقاصده، بعباراته الكثيرة".⁽¹⁾

ولما كان كتاب "الخلافيات" ميداناً من ميادين هذا العلم، لما احتوى عليه من مئات التراجم والأحكام النقدية، جاءت هذه الدراسة لتقف على منهجية مُصنّفه الذي يُعتبر واحداً من أئمة الحديث، قدّم لعلوم الحديث الشيء الكثير، وفي هذا البحث نحاول التعرف على معالم النقد عنده، واصطلاحاته الفنية المتنوعة، ومقاصده منها، مع جوانب علمية متعلقة بهذا الفن من فنون علم الحديث. كما جاءت الدراسة لتبيّن أنّ الإمام البيهقي مع كونه تأخر به الزمن قليلاً عن سبقه من فطاحلة هذا الشأن، إلاّ أنّه لم يكن مجرد ناقل لأقوالهم أو ومقلداً لهم، بل كانت له اجتهاداته الخاصة به في نقد الرواة، وكذا الأسانيد والمتون على حد سواء.

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ) الموقظة في علم مصطلح الحديث، ص (82)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب الطبعة: الثانية، 1412 هـ.

منهجية الدراسة: قامت الدراسة الحالية على استقراء كتاب "الخلافات" استقراءً كلياً، واستخراج أقوال البيهقي، وحصرها وتميزها عن غيرها من الأقوال، التي ينقلها البيهقي عن أئمة الجرح والتعديل، مع الاستعانة بالفهارس الموضوعية في آخر الكتاب من قِبَل المحققين، مُرتباً عباراته على حروف المعجم، لتكتمل عندنا الصورة وتتضح لنا معالم منهجيته في نقد الرواة.

الدراسات السابقة:

هناك جملة من الدراسات السابقة التي تخص البيهقي في هذا المجال، وأغلبها كان متعلقاً بكتابه "السنن الكبرى"، أمّا ما يخص "الخلافات" له فلم أقف في حدّ علمي على دراسة متخصصة، في بيان معالم نقد الرواة الذي تعرض لهم في كتابه هذا.

المبحث الأول: مراتب الرواة في "الخلافات":

إنّ أهل الحديث في طريق تعاملهم مع المرويات والأسانيد قد وصموا رواةً بجملة من العبارات والألفاظ المخصصة، لبيان درجاتهم، وماهم عليه من العدالة والضبط، والإمام البيهقي هو ماضٍ على سنن الأئمة، والرواة الواردون في كتاب الخلافات هم عند البيهقي على مراتب ثلاث:

المطلب الأول: المرتبة الأولى: مرتبة أهل العدالة:

وهم على منزلتين:

1- الثقات: وهم من تُقبل رواياتهم ويُعمل بها ويكون عليهم مدار الاحتجاج:

وهؤلاء أعلى رتبة في الرواة من حيث العدالة والضبط، وهم مُتفاوتون في نظر البيهقي من حيث الفضل، أو من ذكر فيهم أعلى عبارات التوثيق، أو حكى إجماع المحدثين على ثقته، ومن وصفهم بكونهم أئمة أو كباراً، ومن تكررت عبارة التوثيق فيه، ومن انفرد بواحدة منها، أو أشار إلى كونه من الثقات ثم من ذكر أنّهم وردوا في الصحيحين، أو أحدهما على أي وجه من الوجوه.

أ- فمن ناحية الفضل الصحابة:

فالصحبة يثبت بها التوثيق والتعديل للصحابي، وذلك لأنّ - أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم عدول، والإمام البيهقي كان دائم الاشتغال بآثار الصحابة، والجمع لأقوالهم، وما ذلك إلّا لمعرفة منه بجميل فضلهم وعلوّ قدرهم.

ب- من ذكر فيهم أعلى عبارات التوثيق أو حكى فيهم الإجماع على ثقته:

- من صالح المسلمين صدقاً وديناً⁽¹⁾.

- ثقة من إذا تفرد بشيء قبل منه⁽²⁾.

- حافظ عصره⁽³⁾.

- متفق على عدالته،⁽¹⁾ أو يقول بعبارة أصرح: ثقة متفق على عدالته⁽²⁾.

(1) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسُوجَرْدِي، أبو بكر البيهقي (384 هـ - 458 هـ) الخلافات بين الإمامين الشافعي و أبي حنيفة وأصحابه

(436/3) رقم (2698)، تحقيق ودراسة: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال الناشر: الروضة للنشر

والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م.

(2) المصدر السابق (224/4) رقم (3077).

(3) المصدر السابق (10/5) رقم (3469).

- ممن لا يشك حديثي في ثقته،⁽³⁾ أو يقول: لا يشك أحد في ثقته⁽⁴⁾.
- يضرب به المثل في الحفظ والاتقان⁽⁵⁾.
- ج-ممن وصفهم البيهقي بكونهم أئمة أو أكابر:
- أحد أئمة المسلمين⁽⁶⁾.
- إمام أهل الحديث في عصره⁽⁷⁾.
- إمام أهل الحديث⁽⁸⁾.
- من أكابر التابعين⁽⁹⁾.
- د-من كررت فيه عبرة التوثيق:
- الثقة الثبت⁽¹⁰⁾.
- الثقة المأمون⁽¹¹⁾.
- الحافظ الثقة⁽¹²⁾.
- العدل الثقة⁽¹³⁾.
- (هـ) من ورد بصيغة توثيق واحدة أو أشار إلى كونه منهم:
- حجة⁽¹⁴⁾.
- هو من الثقات⁽¹⁵⁾.
- (ر) من وردوا في الصحيحين أو احتج به الشيخان أو أحدهما أو كان على شرط واحد منهما⁽¹⁾:

- (1) المصدر السابق (427/2) رقم (1830).
- (2) المصدر السابق (8/6) رقم (3955).
- (3) المصدر السابق (173/2) رقم (1323).
- (4) المصدر السابق (301/1) رقم (485).
- (5) المصدر السابق (111/5) رقم (3640).
- (6) المصدر السابق (50/2) رقم (1125).
- (7) المصدر السابق (427/2) رقم (1829).
- (8) المصدر السابق (111/2) رقم (1224).
- (9) المصدر السابق (9/4) رقم (2743).
- (10) الخلافات (200/1) رقم (278).
- (11) المصدر السابق 1 (303/1) رقم (489).
- (12) المصدر السابق (171/2) رقم (1319).
- (13) المصدر السابق (221/3) رقم (2334).
- (14) المصدر السابق (135/5) رقم (3679).
- (15) الخلافات (261/2) رقم (1498).

- احتج البخاري به ⁽²⁾ - أو يقول عبارة: "من شرط البخاري وحده" ⁽³⁾.

- اتفق البخاري ومسلم على اخراج حديثه ⁽⁴⁾.

- ثقة قد احتج به مسلم في الصحيح ⁽⁵⁾ - ثقة روى له مسلم في الصحيح ⁽⁶⁾

- روى مسلم بن الحجاج له ⁽⁷⁾، أخرج مسلم حديثه في الصحيح ⁽⁸⁾.

2- من تقبل رواياتهم على ضعف متفاوت فيهم:

وهؤلاء قد نزلت درجتهم قليلا عن أصحاب المرتبة الأولى لضعف خفيف فيهم، لكنهم سائرون في حيز الاحتجاج والقبول: صدوق ⁽⁹⁾.

- غير محتج به في الصحيح ⁽¹⁰⁾.

- غيره أوثق منه ⁽¹¹⁾.

- فيه لين ⁽¹²⁾.

- لا بأس به فيما يوافق الثقات ولا يخالف الأثبات ⁽¹³⁾.

- ليس له ذكر في الصحيح، ليس له ذكر في الصحيحين ⁽¹⁴⁾.

-المطلب الثاني: المرتبة الثانية: الضعفاء الذين يكتب حديثهم للاعتبار:

وأصحاب هذه المرتبة عند الإمام البيهقي قد أصابهم ضعف كبير، بحيث لا يحتج بما تفردوا به، فكتب حديثهم للنظر والاعتبار، وقد تنوعت عبارات البيهقي فيهم، فجاءوا على عدة أوجه ⁽¹⁵⁾:

(1) فإنه يكتفي بذكر ذلك فيهم، وهذا مما انفرد به الإمام البيهقي في بيان مراتب الرواة وسيأتي مزيد إيضاح على ذلك في ما انفرد به من ألفاظ نقدية.

(2) الخلافات (301/1) رقم (485).

(3) المصدر السابق (245/2) رقم (1468).

(4) المصدر السابق (183/2) رقم (1342).

(5) المصدر السابق (450/4) رقم (1804).

(6) المصدر السابق (165/4) رقم (2992).

(7) المصدر السابق (42/2) رقم (1107).

(8) المصدر السابق (205/5) رقم (3784).

(9) الخلافات (296/4) رقم (3142).

(10) المصدر السابق (198/2) رقم (1373).

(11) المصدر السابق (216/1) رقم (309).

(12) المصدر السابق (570/1) رقم (1032).

(13) المصدر السابق (242/3) رقم (3272).

(14) المصدر السابق (556/1) رقم (1004).

(15) فمن أهل هذه المرتبة من وصفهم بالضعف أو نسب تضعيفهم لأهل الحديث، ومنهم من حكم عليهم بعدم الاحتجاج، إلا أن أحكامه هذه غير مسقطه لهم، وإنما هي تمنع قبول ما يأتوا به حال تفردهم، وللبيهقي اصطلاح خاص في هاذين الإطلاقين سيأتي بيان ذلك في مبحث التنبيهات.

- (أ) من وصفهم بالضعف:

- فيه ضعف ⁽¹⁾.- ضعيف بمرة ⁽²⁾.- ضعيف جدًا ⁽³⁾.- ضعيف في الحديث ⁽⁴⁾.- ضعيف لا يحتج به ⁽⁵⁾.- ضعيف ⁽⁶⁾.

وأحيانا يُضيف على عبارة التضعيف ذكر من جرّحه من النقاد فيقول:

- ضعيف جرّحه يحي وغيره ⁽⁷⁾.- ضعيف ضعفه يحي والبخاري، كان يحي بن سعيد وابن مهدي لا يحدثان عنه ⁽⁸⁾.- ضعيف طعن فيه شعبة وغيره ⁽⁹⁾.

(ب) من وصف بعدم الاحتجاج به:

- غير محتج به ⁽¹⁰⁾ أو يضيف عليها فيقول: "غير محتج به عند أهل العلم بالحديث" ⁽¹¹⁾.- لا يحتج به ⁽¹²⁾.- لا يحتج بحديثه ⁽¹³⁾.

(ج) من حكم عليه بكثرة الوهم أو الخطأ:

- كثير الخطأ ⁽¹⁴⁾.

(1) الخلافيات (550/1) رقم (995).

(2) المصدر السابق (432/2) رقم (1842).

(3) المصدر السابق (54/2) رقم (1133).

(4) الخلافيات (364/1) رقم (638).

(5) المصدر السابق (444/1) رقم (798).

(6) المصدر السابق (147/1) رقم (154).

(7) المصدر السابق (562/1) رقم (1017).

(8) المصدر السابق (296/1) رقم (477).

(9) المصدر السابق (366/1) رقم (666).

(10) المصدر السابق (77/1) رقم (15).

(11) المصدر السابق (175/3) رقم (2257).

(12) المصدر السابق (314/1) رقم (513).

(13) المصدر السابق (465/1) رقم (830).

(14) المصدر السابق (446/2) رقم (1878).

- كثير الوهم ليس ممن يحتج بروايته أو تثبت به سنة لم يأت بها غيره⁽¹⁾.
 - كثير الوهم⁽²⁾.

(د) من نسب تكلم أهل الحديث فيه:

- تكلم فيه بعض العلماء⁽³⁾.
 - تكلموا فيه⁽⁴⁾.

(هـ) من اختلف في عدالته أو أخذ عن كل ضرب:

- اختلفوا في عدالته⁽⁵⁾.

- أخذ عن كل ضرب فلا يقل منه ما يأخذ عن الضعفاء والمجهولين⁽⁶⁾.

(ر) من كان غير قوي:

- غير قوي في الحديث⁽⁷⁾.
 - ليس بالقوي عندهم⁽⁸⁾.
 - ليس بالقوي⁽⁹⁾.

(ز) من كان غير معروف أو وصف بالجهالة:

- شيخ مجهول⁽¹⁰⁾.
 - لا نعرفه بما يثبت به حديثه⁽¹¹⁾.
 - ليس بمشهور⁽¹²⁾.
 - مجهول⁽¹³⁾.

(و) من كان مطعوناً فيه أو فيه نظر:

-
- (1) المصدر السابق (381/2) رقم (1747).
 - (2) الخلافيات (287/1) رقم (456).
 - (3) المصدر السابق (366/1) رقم (640).
 - (4) المصدر السابق (1290) رقم (464).
 - (5) المصدر السابق (328/1) رقم (545).
 - (6) المصدر السابق (283/1) رقم (447).
 - (7) المصدر السابق (369/1) رقم (646).
 - (8) المصدر السابق (327/1) رقم (542).
 - (9) المصدر السابق (147/1) رقم (154).
 - (10) المصدر السابق (440/2) رقم (1864).
 - (11) المصدر السابق (310/2) رقم (1592).
 - (12) المصدر السابق (221/2) رقم (1421).
 - (13) الخلافيات (364/1) رقم (638).

-المطعون فيه ⁽¹⁾.

-فيه نظر ⁽²⁾.

المطلب الثالث: المرتبة الثالثة: من يُرد حديثهم ويُترك:

وهي مرتبة من سقط الاحتجاج بهم كلياً، فلا يكتب حديثهم ولا يعتبر بهم:

-رمي بالكذب ⁽³⁾.

-ضال غير ثقة في الحديث ⁽⁴⁾.

-ضعيف الحديث يسرق الحديث ويرى عن الثقات الموضوعات ⁽⁵⁾.

-ضعيف لا يصح الاحتجاج بخبره ⁽⁶⁾.

-غير محتج به في الرواية ⁽⁷⁾.

-كذاب ⁽⁸⁾.

-كذاب خبيث ⁽⁹⁾.

-كذاب يضع الأحاديث عن الأئمة ⁽¹⁰⁾.

-لا يجوز ذكره إلا على سبيل القدح فيه ⁽¹¹⁾.

-ليس بثقة ⁽¹²⁾.

-متروك ⁽¹³⁾.

-متروك الحديث لا يحل الاحتجاج به ⁽¹⁴⁾.

-متروك لا نقره ⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق (299/4) رقم (3181).

(2) المصدر السابق (330/1) رقم (547).

(3) المصدر السابق (550/1) رقم (995).

(4) المصدر السابق (384/1) رقم (683).

(5) المصدر السابق (105/5) رقم (3632).

(6) المصدر السابق (381/3) رقم (621).

(7) المصدر السابق (159/4) رقم (2983).

(8) المصدر السابق (482/2) رقم (1967).

(9) المصدر السابق (161/1) رقم (191).

(10) المصدر السابق (489/2) رقم (1981).

(11) المصدر السابق (489/2) رقم (1981).

(12) الخلافات (235/2) رقم (1446).

(13) المصدر السابق (276/1) رقم (431).

(14) المصدر السابق (448/2) رقم (1885).

-متهم بالوضع⁽²⁾.

-متهم بوضع الحديث⁽³⁾.

-ممن أجمع الحفاظ على ترك حديثه⁽⁴⁾.

-ممن رماه غير واحد بالكذب⁽⁵⁾.

-منكر الحديث⁽⁶⁾.

-يسرق الحديث⁽⁷⁾.

المبحث الثاني تنبيهات هامة حول مراتب الجرح والتعديل في "الخلافيات":

إنّ النظر في مصطلحات الإمام البيهقي وعباراته في الجرح والتعديل، ليرسم صورة موسعة في ذهن الباحث حول منهج هذا الإمام ومسلكه، في واحدٍ من أجلّ أبواب علوم الحديث، وهذا سرد لتلك الملاحظات وتلك التنبيهات:

المطلب الأول ارتباط عباراته النقدية في الجرح والتعديل بظروف كل رواية على حدة:

وذلك لأنّ أقواله مرتّنة كلّ منها بظروفها، واسقاط تلك الأوصاف على الرواة إنما هو في حال تواجدهم في سياقهم، التي تحكمها حيثيات كلّ رواية، وليس حكما خاصا مجردا من السياق، من هنا يتضح أنّ الكثير من أحكامه، لا يمكن تعميمها على الراوي وجعلها هي الحكم الأمثل الصحيح لبيان درجته.

ومن الأمثلة موضحة لذلك قوله في عاصم بن ضمرة: "لا نحتج بحديث يرويه فإثّه مطعون فيه"⁽⁸⁾، والنظر لأول وهلة لهذا الحكم، يجعل الذهن ينقدح فيه أن البيهقي يسقط مرويات عاصم هذا تماما، ويردها مطلقا، إلا أن الواقع ليس كذلك، ففي الموطن الآخر لما شعر بكون عاصم أحسن حالا فيه قال: "ليس بساقط فيما لا يخالف الثقات" وهذه العبارة هي تفسير عبارته الفنية الأخرى "ليس بالقوي"، ليتضح لنا جليّا أنّ مراد البيهقي منها أنه لا يحتج به عند انفراده، وكذا من باب أولى تضعيف ورد مخالفته للحفاظ.

وهذا اللبس والاشتباه يمكن أن يقع في كثير من المواطن المشابهة له في الكتاب، ولا يُتفطن لها إلا باستحضار السياق، وبالوقوف على مجموع أقواله في الراوي الواحد.

المطلب الثاني إطلاقات "غير محتج به" في اصطلاح البيهقي:

يقع في كثير من أحكامه على الرواة عبارة "لا يُحتج به" أو "غير محتج به"، فيلتقطها الباحث والدارس لهذا الشأن دون تمحيص أو تمييز لها، فتتناقل في مجريات بحثه على أنّ البيهقي يسقط ذلك الراوي، والحق أنّ الأمر ليس كذلك، مثال ذلك قوله في إسماعيل بن عيّاش: "لا يُحتجُّ

(1) المصدر السابق (476/2) رقم (1954).

(2) المصدر السابق (77/1) رقم (15).

(3) المصدر السابق (453/1) رقم (810).

(4) المصدر السابق (288/3) رقم (2455).

(5) المصدر السابق (414/4) رقم (2925).

(6) المصدر السابق (317/1) رقم (521).

(7) المصدر السابق (482/1) رقم (862).

(8) الخلافيات (299/4) رقم (3181).

به⁽¹⁾ ومن خلال البحث والجمع لأقواله نجد أنه -يجرحه تجريحا مقيدا- فيقول في موطن آخر: "غيره أوثق منه فيما روى عن أهل الحجاز وأهل العراق"⁽²⁾، أو يخلص فيه إلى عبارته الفنية فيقول: "ليس بالقوي"⁽³⁾.

المطلب الثالث إطلاقات "ضعيف" في اصطلاح البيهقي:

وهذا التنبيه كسابقه، وله فيها عدّة إطلاقات يُحملها على النحو الآتي:

أ- إطلاق "الضعف" على الصدوق الذي يخطئ، أو فيه لين، كما صنع مع "الحجاج بن أرطاة" فإنه قال فيه: "هو ضعيف"⁽⁴⁾ ومقصده أنه ضعيف في روايته الذي أخطأ ووهم فيها، فلزم تضعيفه في هذا الموضع فقط.

ب- إطلاق "الضعف" على من أسقطهم ثقات الحديث وتركوا حديثهم، كما صنع مع الحارث الأعور⁽⁵⁾، والحارث بن نبهان⁽⁶⁾، والحسن بن دينار⁽⁷⁾، والحسن بن عمارة⁽⁸⁾، وأمثالهم، وجميع هؤلاء قد حكم عليهم جمهور النقاد بالسقوط والترك، ومُراد البيهقي لا يخرج عن مُرادهم، إلا أنّ عبارته قصرت عن البيان واحتاجت إلى مزيد إيضاح، لأنّها لفظة عامة تدخل في عمومها بقية الألفاظ التي هي دونها.

ج- وضع مصطلح "ضعيف" في موضعه المناسب له، وهذا الصنيع هو الموافق لصنيع غيره من الأئمة، فيقول مثلاً بعبارة صريحة واضحة: -ضعيف لا يصح الاحتجاج بخبره.

المطلب الرابع مراتب الرواة المتحصلة من عباراته في الجرح والتعديل:

من خلال عرضنا لعبارات وأقوال الإمام البيهقي النقدية في كتابه "الخلافيات"، نرى أنّ عباراته تنحصر في ثلاث مراتب، مرتبتان للتعديل، والثالثة للتجريح.

فجانب التعديل منها هو كالاتي:

1-مرتبة الحديث الصحيح، والصحيح عنده درجات، إذ يدخل فيه من وصف بأعلى درجات التعديل والتوثيق، وهو شرط الحديث الصحيح.

2-مرتبة الحديث الحسن، وهي المرتبة التي حظيت بأقل مراتب الاحتجاج، وهي تمثل رجال الحديث الحسن.

3-مرتبة رجال الضعيف، وهم على قسمين:

(أ)- الضعيف الذي يعتبر به، فلا يقبل تفرده، ولا مخالفته، ولكن يكتب حديثه للاعتبار والإفادة منه في المتابعات والشواهد.

(ب)- أما المرتبة الأخرى من قسم الضعيف، فهي مرتبة التجريح المسقط للعدالة والاحتجاج تماماً، وهي صفة رجال الحديث المردود.

(1) المصدر السابق (207/4) رقم (3053).

(2) المصدر السابق (216/1) رقم (309).

(3) المصدر السابق (397/3) رقم (2632).

(4) المصدر السابق (101/1) رقم (64).

(5) الخلافيات (101/1) رقم (65).

(6) المصدر السابق (235/2) رقم (1446).

(7) المصدر السابق (378/1) رقم (665).

(8) المصدر السابق (433/1) رقم (786).

المبحث الثالث ما تفرد به البيهقي من مصطلحات النقد:

من خلال النظر والمقارنة لأقوال الإمام البيهقي، نجد أنه استعمل عدّة عبارات نقدية لم يسبق إليها، ولا شك أنّ لتلك العبارات مدلولها الخاص عنده، ما يوجب علينا تفحصها والتأمل فيها:

المطلب الأول قوله: "ليس له ذكر في الكتابين" أو "ليس له ذكر في الصحيح":

أو يقول ما هو قريب منها مثل: "غير مُتَّحَج به في الصحيح"، أو "غير مُتَّحَج به في الصحيحين".

وهذه العبارات ونحوها يكثر من استعمالها الإمام البيهقي، وقد يقع في عقل الباحث استغراب في بادئ الأمر، فكيف يُخرج الراوي بعدم ذكر الشيخين له في كتابيهما، ومعلوم من واقع الصنعة الحديثية أنّ من لم يُخرج له في الصحيح لا يعني بالضرورة نزع الوثاقة عنه وإطراح حديثه، والإمام البيهقي لا يخفى عليه ذلك، وإنّما هذه العبارة عندما يُطلقها البيهقي إنّما هي منه إجلالاً لمكانة الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول والإكبار، فرجالهما أعلى رجال الأمة صحةً ونظافةً وقوةً، وكذلك القول في متونهما.

وقصد البيهقي في عبارته تلك أنّه يُلجئ إليها في "الأحاديث المختلفة"، ترى ذلك جلياً في قوله في عاصم بن بهدلة: "وإن لم يخرج الشيخان البخاري ومسلم حديثه في الصحيح لسوء حفظه، فليس بساقط إذا وافق فيما يرويه الثقات، ولم يخالف الأثبات"⁽¹⁾.

-المطلب الثاني قوله: "احتج البخاري ومسلم به" "احتج مسلم به":

أو يقول: "روى له مسلم في الصحيح" "احتج به البخاري"، وهذا مُتَمَم لما سبق، فهو يستخدم هذه العبارات كقرينة للترجيح بين الروايات، وإكساب بعضها القوة والأرجحية.

المطلب الثالث قوله: "فيه نظر":

ولهذه العبارة مدلولها الخاص عنده، فهو يطلقها على من وجد المناكير في روايته، وهي عند البيهقي في مرتبة الاعتبار، مثال ذلك قوله في زيد العمي "فيه نظر"⁽²⁾ وأتبعه بقول أبي حاتم فيه: "... وهو عندي لا يجوز الاحتجاج بخبره ولا كتابة حديثه إلا للاعتبار"⁽³⁾ كذلك الصنيع مع سمعان بن مالك قال: "فيه نظر ورويتنا عن أبي زرعة أنّه ضعفه"⁽⁴⁾، وأيضاً عبد الأعلى الثعلبي قال "فيه نظر وقد قال فيه الدارقطنيّ غيره أثبت منه"⁽⁵⁾.

المطلب الرابع قوله: "لم يثبت من عدالته، ما يوجب قبول خبره":

أو يقول: "لا نعرفه بما يثبت به حديثه" كما جاء ذلك في كلامه حول ابن عبد الله بن مغفل⁽⁶⁾ وهذه العبارة مقاربة للحكم بالجهالة عند البيهقي، أو هي داخلة فيها، فلو نظرنا إلى ترجمة ابن عبد الله بن المغفل، لوجدنا الحفاظ يرمونه بالجهالة، وأنكروا على الترمذي تحسين

(1) الخلافيات (252/1) رقم (373).

(2) المصدر السابق (152/1) رقم (166).

(3) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مغبل، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354 هـ) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (1/386) الناشر: دار الصميعي بالرياض، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي سنة النشر: 1420 - 2000.

(4) الخلافيات (272/3) رقم (2432).

(5) المصدر السابق (565/1) رقم (1023).

(6) الخلافيات (310/2).

حديثه، ففي نصب الراية للزيلعي: "وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه، كابن خزيمة، وابن عبد البر، والخطيب، وقالوا إن مداره على ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول"⁽¹⁾.

- المطلب الخامس قوله "لا نقره":

وهذه يقولها فيمن استحق الترك واطرح النقاد حديثه وأحيانا يقرنها بعبارة "متروك" كما في قوله في الوليد بن محمد الموقري "متروك لا نقره"⁽²⁾.

-المطلب السادس قوله: "يحتاج الى دعامة":

وهذه قالها في جُحَالِد بن سعيد الكوفي⁽³⁾، ولم أجد غيره من الرواة من أطلق عليه البيهقي هذه العبارة، ومقصده منها أنَّ هذا الراوي يحتاج إلى من يقويه ليرقي حديثه إلى درجة القبول.

المبحث الرابع: ميزات وخصائص منهج البيهقي في نقد الرواة:

إنَّ العناية التامة التي أولاها الامام البيهقي لباب الجرح والتعديل قد تجلَّت في عدَّة خصائص تُبين منهجه في نقد الرواة:

-المطلب الأول: تجلية صورة الراوي بكل أبعادها:

بعرض بطاقته الفنيَّة فيقول مثلاً "إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، وكان يحيى بن معين يستضعفه، ولم يحتج به البخاري، وكان يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي لا يريان به بأساً"⁽⁴⁾، ومن ضمن ذلك عدم اغفال ما جاء فيه من جرح، وإن كان قد ذُكر في الصحيح أو استشهد استشهد به أحدهما، فيقول مثلاً: "جعفر بن سليمان الضبي وإن استشهد به مسلم فقد تكلموا فيه"⁽⁵⁾، وقال في إبراهيم بن المهاجر: "ليس بذاك وهو وإن قبله مسلم فقد رده غيره"⁽⁶⁾.

-المطلب الثاني : تفسير مصطلحات النقاد وإيضاح المقصود منها :

من أمثلة ذلك شرحه وتفسيره لعبارة يحيى بن معين في حديث ابن عباس؛ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قضى بشاهد ويمين"⁽⁷⁾ فقال يحيى عنه: "ليس هو بمحفوظ..."⁽⁸⁾.

(1) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى : 762هـ) ، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلعي (329/1) ، تحقيق : محمد عوامة الناشر مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية الطبعة : الأولى، 1418هـ/1997.

(2) الخلافيات (476/2) رقم (1954).

(3) المصدر السابق (428/1) رقم (774).

(4) المصدر السابق (71/2) رقم (1163).

(5) الخلافيات (261/2) رقم (1498).

(6) المصدر السابق (339/1) رقم (571).

(7) أخرجه مسلم في "صحيحه" (5 / 128) برقم: (1712) (كتاب الأقضية ، باب القضاء باليمين والشاهد)، قال ابن عبد البر: "أصح طرق حديث ابن

عباس" التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، [139/2] تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - عام =النشر: 1387 هـ، وكذلك قال أحمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل (المتوفى: 852هـ) في التلخيص الحبير في تخريج

أحاديث الرافعي الكبير، [377/4] تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب ، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر-الطبعة: الأولى، 1416هـ/1995م..

(8) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (4 / 377).

قال البيهقي بعدها: "فنعول وبالله التوفيق: إن شيخنا أبا زكريا - رضي الله عنه - لم يطلق هذا القول على حديث سيف بن سليمان عن قيس بن سعد، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس⁽¹⁾، وإنما أراد الحديث الخطأ الذي روي عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس، أو الحديث الذي تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، فأما حديث سيف بن سليمان، فليس في إسناده من يجرح، ولم نعلم له أيضا علّة نعلل به الحديث، والإمام أبو زكريا - رحمه الله - أعرف بهذا الشأن من أن يظن به أن يوهن حديثا يرويه الثقات الأثبات"⁽²⁾.

-المطلب الثالث : إحالة الأقوال النقدية وعزوها إلى أصحابها :

وهذا من تمام العلم، وشواهد في الكتاب كثيرة ومن ذلك أقواله الآتية:
- "وهو الذي يقال له: سليمان بن داود بن مخراق، يروي عن مالك بن أنس وأهل المدينة، يسرق الحديث ويسويه قاله أبو حاتم في كتاب المجروحين"⁽³⁾.

- "ويحيى بن آدم أحفظ من أبي أحمد الزيري وأثبت منه، وقد تابعه على ذلك قبيصة بن عقبة وغيره، قاله الدارقطني"⁽⁴⁾.
- "فأما هذه الرواية فإنها باطلة، الحسن بن دينار ضعيف، والحسن بن شبيب يحدث عن الثقات بالأباطيل؛ قاله ابن عدي وغيره"⁽⁵⁾.

المطلب الرابع تأصيل القواعد المهمة في نقد الرواة:

من أمثلة القواعد التي يثبها البيهقي في كتابه الخلافات مما هو متعلق بنقد الرواة:
- "رأيه في مسألة زيادة الثقة قال: "والزيادة من الثقة مقبولة"⁽⁶⁾.
- "حكمه على مراسيل أبي العالية بعدم الاتصال فقال: "أبو العالية مراسله ليس بشيء، فإنه كان يأخذ عن كل ضرب"⁽⁷⁾.
- "أبو بكر النهشلي ليس ممن يحتج بروايته أو تثبت به سنة لم يأت بها غيره"⁽⁸⁾ وهذا فيه أنه لا يقبل ما يتفرد به هذا الراوي.
- "وفي الكتاب أيضا نلمح عناية البيهقي بسماعات الرواة وإدراكهم لبعضهم البعض مثل قوله: "الأسود بن يزيد لم يدرك بلال"⁽⁹⁾.

المطلب الخامس تصنيفات وفوائد حديثية خاصة:

فمن شواهد تلك الفوائد قوله:
- "ولا أعلم خلافا بين أهل العلم بالحديث أن سفيان وشعبة إذا اختلفا فالقول قول سفيان"⁽¹⁰⁾.
- عبد الله بن المبارك أحفظ الرواة عن أبي حنيفة"⁽¹¹⁾.

(1) وهي الطريق السابقة التي أخرجها الإمام مسلم في صحيحه.

(2) الخلافات (471/7-472) رقم (5533).

(3) المصدر السابق (546/1) رقم (989).

(4) المصدر السابق (490/6) رقم (4726).

(5) الخلافات (549/1) رقم (994).

(6) المصدر السابق (173/3).

(7) المصدر السابق (409/1) رقم (743).

(8) المصدر السابق (381/2) رقم (1747).

(9) المصدر السابق (114/2) رقم (1233).

(10) المصدر السابق (318/2) رقم (1605).

(11) المصدر السابق (438/2) رقم (1862).

المطلب السادس: تمجيده للأئمة النقد ووصفهم بأعذب الاوصاف وجميل العبارات:

قد نثر البيهقي في جوانب كتابه عبارات الإجلال لصيرافة النقد وأئمة الحديث، فمن نماذج ذلك قوله مثلاً عن يحيى بن معين: "شيخنا أبا زكريا"⁽¹⁾، وفي موضع آخر عنه: "إمام أهل الحديث أبو زكريا يحيى بن معين"⁽²⁾، ويقول في البخاري "إمام أهل الحديث في عصره محمد بن إسماعيل البخاري"⁽³⁾، ويعبر عن شيخه الحاكم الذي تخرّج على يديه مبجلاً له: "الحافظ إمام أهل الحديث في عصره"⁽⁴⁾، وفي محمد بن يحيى الذهلي: "إمام من أئمة أهل الحديث"⁽⁵⁾ وغيرهم كثير.

المطلب السابع: تميز أقوال النقاد والتعقيب عليها:

من أمثلة ذلك تعقيبه على شيخه الحاكم إذ قال: "قال أبو عبد الله - رحمه الله - [وحدث حماد بن سلمة أصح وأشفى وأتم من حديث الأنصاري] هو كما قال، غير أن فيه إرسالاً"⁽⁶⁾، وفي موطن آخر قال: "قول شيخنا - الحاكم - في محمد بن عباد بن جعفر: إنه غير غير محتج به سهو منه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم - رحمهما الله - حديثه في غير القلتين في الصحيح واحتجا به، والحديث محفوظ عن الوليد بن كثير عنهما جميعاً"⁽⁷⁾.

المطلب التاسع: قرن أحكامه النقدية على الرواة بالحكم على الطرق والأسانيد:

وهذا شيء مشاهد في صنيعه مع هذا الكتاب، من أمثلة ذلك قوله:

- "وهذا الإسناد بهذا الحديث باطل، ويحيى بن صالح الأيلي أحاديثه غير محفوظة."⁽⁸⁾

- "عبد الأعلى هذا ضعيف، وهو موقوف غير أنه إذا انضم إلى ما قبله أخذ قوة"⁽⁹⁾

خاتمة:

وفيه أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- **أولاً:** المقام العلمي الرفيع للإمام البيهقي، والقيمة العلمية الكبيرة التي يحتويها كتابه "الخلافيات" في بيان مراتب الرواة وأحكامهم في الجرح والتعديل.

- **ثانياً:** جاءت أحكام البيهقي في نقد الرواة شاملة للجرح والتعديل، بعبارات فنية واصطلاحات نقدية، أبانت علو كعب هذا الإمام، في هذا النوع من أنواع علوم الحديث ليسجل البيهقي بذلك حروف اسمه بين جملة النقاد.

- **ثالثاً:** تحصل لنا من مجموع عباراته التي وصم بها الرواة، أنهم ينحسرون عنده على مراتب ثلاث، مرتبتان للتعديل وثالثة للتجريح.

(1) المصدر السابق (470/7) رقم (5532).

(2) الخلافيات (111/2) رقم (1225).

(3) المصدر السابق (277/4) رقم (3151).

(4) المصدر السابق (206/1) رقم (289).

(5) المصدر السابق (131/2) رقم (1261).

(6) المصدر السابق (266/4) رقم (3138).

(7) المصدر السابق (500/1) رقم (898).

(8) المصدر السابق (371/6) رقم (4544).

(9) المصدر السابق (418/4) رقم (3389).

- رابعاً: انفرد البيهقي عن جملة النقاد بعدة مصطلحات نقدية لها مدلولها الخاص عنده، تفهم من خلال استعماله لها في هذا الكتاب.
- خامساً: الإمام البيهقي إطلاقات نقدية، يجب أن تفهم من خلال تتبع منهجه، والتعرف أكثر على طريقته وفلسفته النقدية، حتى لا يطيش الفهم بطالب الحديث بعيداً عن مُراد وقصد هذا الإمام.
- سادساً: معالم النقد عند الإمام البيهقي حوت مجموعة من الميزات والخصائص الفنية التي يُحتاج لها في العملية النقدية.
- سابعاً: عبارات البيهقي في الجرح والتعديل جاءت ملازمة لسياق المرويات، فينبغي للمعتمد على مادته في "الجرح والتعديل"، أن يلتفت لهذا الملحظ، ولا يلتقط لفظة من ألفاظه ويعتبرها هي الحكم النهائي الملازم لذلك الراوي.
- ثامناً: الإمام البيهقي من الأئمة النقاد والمتمرسين في علم الجرح والتعديل ونقد الرجال وله قدم راسخة في هذا العلم، كما أنّ أحكامه اتسمت بالجدية وعدم التقليد لمن سبقه من النقاد.
- تاسعاً: الصنعة الحديثية لدى الإمام البيهقي يمكنها أن تدفع بالباحثين إلى مزيد إبراز وتحلية للجوانب الحديثية النقدية المبثوثة في ثنايا كُتب هذه الشخصية العلمية.

فهرس المصادر والمراجع:

- 1- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوخَرْدِي، أبو بكر البيهقي (384 هـ - 458 هـ) الخلافات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه تحقيق ودراسة: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال الناشر: الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م.
- 2- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل (المتوفى: 852 هـ) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر- الطبعة: الأولى، 1416 هـ/1995 م.
- 3- جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: 762 هـ) نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلعي تحقيق: محمد عوامة الناشر مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - السعودية الطبعة: الأولى، 1418 هـ/1997
- 4- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: 748 هـ) الموقظة في علم مصطلح الحديث، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب الطبعة: الثانية، 1412 هـ.
- 5- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسْتِي (المتوفى: 354 هـ) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين الناشر: دار الصميعي - الرياض تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي سنة النشر: 1420 - 2000.
- 6- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261 هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل-الناشر: دار التأصيل - القاهرة.
- 7- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي أبو عمر (المتوفى: 463 هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - عام النشر: 1387 هـ.